من الأدب الايطالي

الليالي العشر

IL DECAMERON

ترجمة اليوزباشي الأديب احمد الطاهر

يعد جيوفاني بوكاشيو GIOVANNI BOCCACCIO زعيم النثر الايطالي غير منازع في زعامته ، وكانت رسائله نبراساً يستضيء به الكتاب من بعده ، ونذكر منهم بترارك ، شوسر ، دريدن ، كيتس ، تنيسون . أولئك وغيرهم كانوا فيما يخرجون للناس من كتب يفترفون من بحر بوكاشيو ويستلهمون وحيه ويتقفون أثره

ولد في قرية سرتالدو التي تبعد عشرين ميلا عن فلورنسا ونشأ بها . ولما جاوز الحول السادس والعشرين رحل إلى نابولي وكانت مهد غرامه ومهبط وحي الحب على قلبه ، فشغف بحب « ماريا دا كوينو » فبدأت من حياته صفحة جديدة فياضة بالخير سيالة بالنفع . فلقد كان حبها حباً كريما : بسط على نفس الفتى فضله فلقى فيه ما يلقى المحبون من سعادة ونعيم ، وفاض على نفوس الناس أجمعين مما أوحى إلى الفتى ، فتلقوا منه نثراً هو أبدع ما أخرج للناس من أقلام الكاتبين ، فيه دقة ، وفيه روعة ، وفيه جمال ، على نحو ما خلقت الفتاة من دقة وروعة وجمال . حتى لقد زعم الناس أن هذا البيان إن هو إلا وحي يوحى من الفتاة إلى هذا المحب المختار ، ثم أصبح زعمهم يقيناً فأغمضوا العين على تلك الصلة الوشيجة بين المحبين ، وانصرفوا إلى فضل الفتاة على رسائله ، فما يذكرونها إلا برسائله وما يذكرون رسائله إلا بها ، وغالوا فيما انصرفوا إليه فسموا الفتاة « صاحبة رسائل بوكاشيو » . ! !

وعاد الفتى إلى فلورنسا عام ١٣٥٠ م وكان قد انتهى من كتابة الليالي العشر أو كاد ، وأخرجها إلى الناس عام ١٣٥٣ م . ولقد دفعه إلى كتابتها عاملان ألحا عليه : رغبته في إخراج شيء بديع قيم يزجيه إلى محبوبته ، ولا أبدع لدى الكاتب من ثمرات قلمه ، والرغبة إلى ملكة نابولي ، وكانت تشتهي أن تقرأ للفتى خير ما ينتجه يراعه

وكانت عودته إلى فلورنسا في الوقت الذي أفلتت فيه المدينة من براثن الطاعون ، ونضت عنها قميص قيصر بعد أن لم يترك فيها موضعاً بغير قرح ، ولا عضواً بغير جرح . وكان هذا الوباء على ما روى لنا الكتاب حديث الناس في تلك السنين العجاف ، فما كان عجباً أن يصدر بوكاشيو كتابه بوصف هذه المحنة التي نزلت بالبلاد . ولقد وصفها في بيان فصيح ، وأسلوب صريح ، ثم تخلص من وصف الوباء إلى سرد قصصه المائة في الليالي العشر التي قدر لها أن تكون من أكبر كتب العالم مدى الدهر

الفتيات السبع

هذه إحدى قصص الليالي العشر ، أو هي مقدمة قصص الليالي نوردها في اختصار وتلخيص ، لا نحاول أن نتسامى إلى منزلة الكاتب في براعة الأسلوب ، ولا ندعي القدرة على مجاراته في ميدان البلاغة ، ولكن حسبنا الأمانة في النقل والدقة في التعبير عما أراده الكاتب مما كتب ، أمانة ودقة لا ينقص منها ما يقتضيه الأسلوب العربي من أحكام وأوضاع :

فلورنسا أجمل مدائن إيطاليا ، وأبهاها ، وأغناها ، تصبح ما بين عشية وضحاها أفقر البلاد وأشدها بؤساً وفاقة بما أصابها من كارثة الوباء التي نزلت بها عام ١٣٤٨ م . لقد كان هذا الوباء مرضاً ملحاً جباراً لم تفلح فيه عقاقير الأطباء ولا اعتصام الناس بالعزلة والفرار . وماذا تغني العزلة وماذا يفيد الفرار ؟ والوباء ينساب بين الناس انسياباً تحمله أنفاسهم حين يتحدث بعضهم إلى بعض ، ويسري بينهم إذا لمس السليم ثياب المريض . حتى إذا بدت على الجسم علامات حمر كانت نذيراً بالموت لا مفر منه ، ودليلا على انقضاء الأجل ، وتصرم أسباب الأمل ، إن هي إلا أيام ثلاثة ثم ينتهي كل شيء إلى ما تنتهي إليه كل الأشياء . وغشي الناس من هول الكارثة فزع وجزع . وإذا فزع الناس فما أيسر خروجهم على القوانين الوضعية ، وإذا خلت قلوبهم من طمأنينة الثقة فما أيسر خروجهم على الشرائع السماوية ، فان تحرروا من هذه وتلك فليفعل كل امرىء ما شاء . وإنهم لواجدون في هذه الفوضى متسعاً لاشباع الشهوات ، وإرضاء

النزوات ، ومتى لم يكن من الموت بد ففى رأيهم أن من الخرق أن تموت عابساً كئيباً ، وهذه قصور الأغنياء وخدور الغانيات فلنقتحمها ورداً ، ولننعم فيها قبل الموت بما حرمنا منه فى الحياة ، ولتمت وعلى وجوهنا ابتسامة اللذة ومخايل السرور ! ! كذلك كانوا يقولون . على أن بعض الناس أقام بينه وبين الناس سداً وحسب أن الحمية تعصمه من فتك المرض وظن بعضهم أن فى الاعتصام بالجبال والتأبد فى الخلاء ، منجاة من الوباء ، ففروا تاركين وراءهم حطام الدنيا ومتاع الحياة ، وما يغنى متاع الحياة وحطام الدنيا إذا فر الأخ من أخيه ، وفصلت الزوجة عن زوجها ، وأفزع الآباء والأمهات عن فلذات الأكباد ؟ هذه جثث الموتى متناثرة فى الطرق رأيتها بعينى ورأيت الكلاب تدس أنوفها فى الأجساد فيسرى إليها الداء ، فتخر صريعة على الأرض وتقتعد مكانها بين ضحايا الوباء .

فى خمسة أشهر من العام بين مارس ويوليو فتك الطاعون بمائة ألف من الأنفس ، وما كنا نحسب أن فى فلورنسا هذا العدد من الناس

ولكن ! مالى أردد ذكرى هذه الفاجعة ، ولقد برمت بها وبذكراها ! أليس الخير كل الخير فى أن يجتنب المرء ذكر ما قسوه ذكراه ، وينسى ما يجد السبيل إلى أن ينساه ؟

فلأذكر إذاً أنه عندما أصبحت فلورنسا قفراً من الأهل والسكان جمعت البأساء بين فتيات سبع لهن من الجمال حظ وافر ، وعليهن من الثياب سواد ، واجتمعن يوم الثلاثاء فى كنيسة سنت مارى ، ولم تحو الكنيسة غيرهن من شهود الصلاة . وكانت تربطهن فوق رابطة البأساء صلة القرابة الوشيجة ، وصلة أوثق من هذه وتلك هى صلة الصداقة والوفاء . شهدن الصلاة ثم انتبذن ناحية من الكنيسة خلصن فيها نجياً يتدبرن فيما يجمل بهن أن يتخذن من سبيل فى الحياة وقد تخلين عن متاع الدنيا وتخلى عنهن الأهل والخلان . قالت كبراهن — ياميبنيا : « الرأى عندى أن نرحل عن فلورنسا فننجو بأنفسنا من خطرها المحدق وشرها المحيق ، وأى خطر أشد من الطاعون ، وأى شر أسوأ من أولئك المارقين يجوسون الطرق ويقتحمون الدور ؟ هيا إلى الريف نجد فيه مرتعاً ، وهواء طلقاً ، وحياة وادعة ، فى كنف التلال الخضراء والمزارع تموج فيها الحنطة كموج البحر ، ولا نرى البصر إلا نعيما ، مالنا ولهذه المدينة الخاوية على عروشها تبعث فى النفس أمض الذكريات وأقساها ؟ »

— قالت فيلومينا « وكيف السبيل إلى هذه الرحلة وليس لنا ساعد من الرجال ؟ »

— قالت ألبزا « وأين الرجال ياأختاه ، وكل أترابنا منهم قد تبدد شملهم ، وانصدع جمعهم ، فمنهم من فتك به الطاعون ، ومنهم من ضرب فى الأرض لا يعرف له مستقر فهم لا يرجعون »

وفيما هن يقلبن الرأى على وجوهه إذ وفد عليهن ثلاثة فرسان : فتيان فى ميعة الصبى وروعة الجمال ، خرجوا يلتمسون بين الناس فتيات لهم بهن صلة ، وما كانوا يبحثون إلا عن « نيفيل » و « ياميبنيا » و « فيلومينا » من فتياتنا السبع

صاحت ياميبنيا « لقد ابتسمت لنا الأقدار فساقت إلينا ثلاثة رجال أكفاء أشداء وأنا زعيمة لكن بأنهم سيلبون دعوتنا إذا دعوناهم » ثم أقبلت على الفرسان تقص عليهم ما كن فيه يتحدثن ، وطلبت إليهم فى توسل ورجاء أن يكونوا عوناً لهن ونصراء ، وأن يصحبوهن إلى حيث أردن

ضحك الفرسان منهن وتندروا على هذا الرأى ما شاء لهم الشباب أن يتندروا ، ثم أنسوا من الفتيات جداً فى الرأى وصلابة فى العزم ، فأذعنوا راضين ، وتقدموا غير هازلين ، وافترق الجمع على أن يكون الرحيل عن فلورنسا فى صبيحة اليوم التالى

وذر من الشمس شعاع ، فهب الفتيات والفرسان ومعهم الوصفاء وساروا على هدى العزيمة فرسخاً ألقوا بعده عصا الترحال ، وكان ذلك عند شرف من الأرض يشبه التل ، تجلل هامته فئة باسقة الرماح ، ممتدة الصفاح ، يقوم فى جوفها صرح شامخ يعجبك رواؤه ، ويبهرك بناؤه ، قد انبسط تلقاءه سرح فسيح ، وتشعبت فى أنحائه أبهاء واسعة ، وفى مقاصيره من دلائل الغنى واليسرة ، تحف منثورة ، وصور منشورة ، وحاطت بالقصر حدائق ذات أشجار وأثمار تقوم على ريها نافورات تقذف بسهام الماء ، فكأنما يصب على الأرض من السماء . وكان كل ما فى القصر متسقاً منضوداً ، كأنما أعد لاستقبال الوافدين ، واستراح المتعبين ؛ وظل الفتيات والفتيان يمشون فى سروحه وأرجائه .

وأفنيته وأبهائه ، ويقطفون من زهوره وأثماره ، ويتغنون فى هذا الجنان ، بأعذب الألحان ، حتى حان موعد الغداء فقد سماطه فى بهو الولائم . وما انتهوا منه حتى تناول « ديونيو » أحد الفرسان آلة من آلات الموسيقى ، وأمسكت « فيامتا » إحدى الفتيات بآلة أخرى ، وواءمتا بين نغمتين طرب من مزاجها الجمع حتى غنى ورقص ما وسعه الجهد

وظلوا كذلك حتى أدركهم الليل وهم فى طربهم ماضون ، وأسلمهم التعب إلى نوم عميق ، وكانوا قد اتفقوا فيما بينهم على أن ينصبوا « بامبينيا » أميرة عليهم فى الغداة ، ولها عليهم حق الأمر ، وعليهم لها واجب الطاعة ، على أن تدبر لهم شأن المحافل والجلسات وما يتخللها من الملاهى والمسرات

وفى ضحوة اليوم التالى لبوا دعوة الأميرة وانتظموا حولها فحيتهم تحية جميلة ، وأخذت عليهم فى رفق ولين تكاسلهم عن النهوض مبكرين ، وفى نوم الضحى مضرة للأبدان تشفق منها عليهم وتعيذهم من أذاها . ثم سارت أمامهم إلى واد ذى زرع أخضر تقوم على عطفيه أشجار باسقة ، وقالت : « هنا الشمس مشرقة مشرفة ، ترسل علينا أشعة حامية محرقة ، فليس من الرأى أن نواصل المسير ضناً براحتنا وحرصاً على هنائنا ، فلنجلس إلى ظل هذا الوادى الوادع تحت أغصان الزيتون ، ولتكن جلستنا على نحو دائرة لا يلتقى طرفاها ، وليقصص كل واحد وكل واحدة منّا قصة شيقة ، فان هدأت الشمس وانكسرت حدتها اتخذنا فى اللهو سبيلا آخر ؛ ولتكن أنت يا « بامفيلو » أول من يقص علينا قصته :

واستوى الفتى فى جلسته وقص القصة الآتية :—

(يتبع)

البرنباشى أحمد الطاهر

جبران خليل جبران

كان المرحوم جبران خليل جبران أديباً كاملاً ومصوراً ماهراً وكاتباً خيالياً لا يجارى . وقد أراد بعض الأدباء فى هذا العصر أن يجاريه ويماشيه فى خياله ولكن على غير جدوى دون أن يلحق له غبار ، وقد طبعت مكتبة العرب بشارع الفجالة رقم ٤٧ بمصر جميع مؤلفاته وهى تطلب منها :

١٥	البدائع والطرائف مزين بالصور الخيالية		
٨	كتاب النبى	»	»
٥	رمل وزبد	»	»
٥	المواكب (قصيدة)	»	»
١٠	كلمات جبران الخالدة		
١٥	دمعة وابتسامة طبع أمريكا		

بمناسبة فصل الصيف

تقدم إليكم

شركة مصر للغزل والنسج

بالمحلة الكبرى

أحسن أنواع الأقمشة الكتانية والكراشى

اللازمة للبدل والجلاليب

أفخر تشكيلة للملابس الداخلية والقمصان

من السبيكة وقماش المصايف

سادة وألوان

جربوا منتجاتنا لتحكموا بجودتها ومتانتها

اطلبوها من

مصانع الشركة بالمحلة الكبرى — ومن فرعها بشارع الأزهر بمصر ومن جميع محلات المانيفاتورة — ومن شركة بيع المصنوعات المصرية وفروعها